**لا صيانةَ للدين بلا بيان، وحراسةَ التوحيد تكون بكشف الباطل والتحذير من أهله،
والبراءة من مسالك التمييع والسكوت.**

قال الله جل وعلا:
{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة : 159]

**{إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}
[التوبة : 39]**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
يا من انتسب إلى السلفية ثم كتم البيان وسكت عن الباطل ، فإن صيانةَ الدين لا تكون بالمداهنة، ولا بحجب الأسماء عند قيام الحجة وظهور المخالفة، بل بالبيان العادل وكشف الحق ونصح الأمة.
فدعوى الانتساب لا تغني عن لزوم المنهج؛ ومن آثر السلامةَ على البلاغ، أو عطّل واجب التحذير في موضعه، فتح باب التلبيس وأعان على انتشار الانحراف.
فاتقوا الله في دينه، وقوموا بالحق بعلمٍ وعدل، فإن السكوت حيث يجب البيان تقصيرٌ يُسأل عنه العبد بين يدي الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُعظَّم بها حرماتُ هذا الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة أضعها بين يدي كل طالب حق ولكل من قرأ قوله ﷺ : ((يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، يَنفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين))، فيما أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، وأخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث، وذكره غيرهما كابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله.

فأن الله يقيّض في كل عصرٍ من يقوم بحمل العلم الصحيح، فيدفع عن الدين، تحريف الغالين (أهل الإفراط)،
وانتحال المبطلين (أهل الكذب والافتراء)
وتأويل الجاهلين (أهل الجهل وسوء الفهم).
ولهذا استشهد به كثير من الأئمة في تقرير أصل الرد على المخالف وبيان الباطل، وعدّوه من دلائل حفظ الله لهذا الدين وعدم هلاك الأمة.

فإن حراسةَ التوحيد وصيانةَ الدين لا تقوم إلا ببيان الحق ورفعه، وكشف الباطل وفضحه، وسدِّ كل ذريعةٍ تُفضي إلى انتهاك جناب الشريعة أو التلبيس على الخلق في أصل دينهم. وليس هذا الباب مجالَ مداهنةٍ ولا موضعَ تمييع، بل هو مقامُ نصحٍ وديانةٍ، يُعرف به صدقُ الاتباع من دعوى الانتساب، ويتميز به أهل السنة من أهل التلبيس والهوى.

وإن من أعظم البلاء أن يُهوَّن شأن هذا الأصل، أو يُتأوَّل في تركه، أو يُشنَّع على أهله إذا قاموا به على وجهه الشرعي، حتى يُفتح الباب لكل متكلمٍ بغير علم، ولكل صاحب هوى أو انحراف، فيتكلم في دين الله، ويُلبِّس على الناس، ويُلبِس الباطل ثوب الحق، ثم يجد من السكوت أو التهوين ما يُمكِّنه ويُثبِّته.

فلا يُغترُّ بكل من تسمى بالسلفية، ولا بكل من انتسب إلى العلم، فإن العبرة بحقائق الأقوال والمناهج، لا بالأسماء والدعاوى. ومن ترك البيان الواجب في موضعه، أو سكت عن الباطل مع ظهور حاله، أو سوَّغ ترك التحذير بتأويلٍ أو مداراةٍ أو رغبةٍ في جاهٍ أو منصب، فقد فتح بابًا عظيمًا من أبواب الخلل، وأعان - من حيث يشعر أو لا يشعر - على انتشار ما يجب إخماده، وقوّى ما يجب إضعافه.

وليس المقصود بذلك التعدي ولا الظلم، بل الواجب أن يكون هذا الباب قائمًا على العلم والعدل، لكن مع صلابةٍ في الحق، وعدم مداهنةٍ فيه، فإن الدين أعظم حرمةً من الأشخاص، وأحقُّ أن يُصان من كل دخيل، وأن يُحمى من كل مسلكٍ يُفضي إلى تمييعه أو إضعافه أو هلاك للأمة.

فبهذا تُحفظ الأصول، وتُصان العقائد، وتبقى للسنة هيبتها، وللتوحيد مكانته، وإلا فإذا سكت أهل الحق، أو فتروا عن البيان، أو شُنِّع عليهم إذا قاموا به، تجرأ كل ناعق، وارتفع كل صاحب هوى، واختلط الحق بالباطل، وكان ذلك من أعظم أسباب فساد الدين في القلوب، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

اعلموا - رحمكم الله- أن الله جل وعلا قد أكمل هذا الدين، وأتم به النعمة، وجعله محفوظًا بحفظه، قائمًا بأهله الذين يقيمون حدوده، ويذبّون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ومن أعظم ما حُفظ به هذا الدين، وصينت به عقائده وأصوله، قيامُ أئمة السلف بالبيان والرد، وكشف الباطل، وفضح أهله، حمايةً للتوحيد، وصيانةً للسنة، وسدًّا لكل ذريعة تُفضي إلى انتهاك حرمات هذا الدين.

فليس الدينُ شعاراتٍ تُرفع، ولا دعوى تُدَّعى، وإنما هو حقٌّ يجب بيانه، وباطلٌ يجب كشفه والتحذير منه. ولهذا جرى أئمة الهدى على بيان حال أهل الأهواء، وتسميتهم، والتحذير من طرائقهم، لا تشهيًا ولا انتصارًا لأنفسهم، ولكن نصحًا لله ولرسوله وللمؤمنين، وحراسةً لجناب الشريعة أن يُدخَل فيها ما ليس منها، أو يُخرَج منها ما هو منها.

وقد تقرر عند أهل السنة أن أعظم ما تُصان به الشريعة: حفظُ أصلها الذي قامت عليه، وهو توحيد الله جل وعلا، واتباع رسوله ﷺ، فإن التوحيد أصل الأصول، والاتباع شرط القبول، وكل انحراف في الدين إنما يتسلل من هذين البابين: إما من خللٍ في توحيد المعبود، أو من خللٍ في متابعة الرسول. فكان لزامًا على أهل العلم أن يسدوا كل طريق يفضي إلى نقض هذين الأصلين، أو إضعافهما، أو التلبيس فيهما على الناس.

وقد قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [ولهذا كان أهل السنة والحديث هم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق] ؛ لأنهم يجمعون بين بيان الحق والشفقة على الخلق، فلا يمنعهم قصد الرحمة من كشف الباطل، ولا يحملهم كشف الباطل على الظلم أو البغي، بل يقومون بالعدل الذي أمر الله به.

ومن تأمل سير السلف، وجدهم أشدَّ الناس قيامًا بهذا الباب، حتى قال الإمام التابعي الجليل محمد بن سيرين رحمه الله: [إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم] ؛ فجعل التثبت في الأخذ، ومعرفة حال المتكلم، من صيانة الدين، لا من باب الفضول ولا التشديد.

وكانوا يعدّون السكوت عن الباطل في موضع البيان خذلانًا، وكتمانًا لما يجب إظهاره، إذ في السكوت ترويجٌ للبدعة، وإغراءٌ للعامة، وفتحٌ لباب الجرأة على الدين، حتى يتكلم فيه كل ناعق، ويتصدر له كل متأول أو منافق أو صاحب هوى، فيختلط الحق بالباطل، وتضعف هيبة السنة في القلوب.

ولهذا كان سدّ الذرائع المفضية إلى الفساد في الدين أصلًا معتبرًا، فكما تُسد الذرائع في أبواب المعاملات والأعراض، فإن سدّها في باب العقائد أولى وأعظم، إذ الفساد فيها فسادٌ في أصل الدين لا في فروعه. فإذا ظهر الباطل، ودعا إليه أهله، كان ترك البيان ذريعةً إلى انتشاره، وترك التحذير ذريعةً إلى الاغترار به، وذلك من أعظم أبواب الخلل.

والمقصود الأعظم من ذلك كله: حفظُ دين الله، وصيانةُ جنابه، وحراسةُ التوحيد من أن يُخالطه شرك، أو تُدخَل عليه تأويلات الغالين، أو تحريفات المبطلين، أو تلبيسات أهل النفاق والهوى. فالدين أعظم حرمةً من الأشخاص، والحق أحق أن يُتَّبع، ومن عظَّم الدين حق تعظيمه، قدَّم حفظه وصيانته على كل اعتبار.

فنسأل الله أن يجعلنا من القائمين بحقه، الناصرين لدينه، المبينين لشرعه، على بصيرةٍ وعدل، وأن يعيذنا من الزلل في القول والعمل، وأن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يرد ضال المسلمين إلى الحق ردًا جميلًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: خالد بن داود العُرُفَه التميمي، غفر الله له ولوالديه، وجعل ذلك خالصًا لوجهه، موافقًا للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.